قراءة الافكار

تبين من الابحاث الاخيرة في علم البسيكولوجيا العملية ان المظاهر العقلية خاضعة لنواميس منتظمة فلا يحدث شيء منها الاَّ وله سبب وعلة . واذا امعنا النظر في هذه المظاهر لا نراها اشد غموضاً من المظاهر الطبيعية المحسوسة . فاذا عرفنا كيف تدخل هذه المظاهر الدماغ وكيف تخرج منهُ اصبحت حركاتها في الدماغ واضحة جلية كوضوح سير السيارات في النظام الشمسي . فقد كان ينظر قبلاً الى هذه السيارات بالخوف والتشاؤم حسبان انها علاقة وهمية بحياتنا لكن العلم ازال هذا الخوف وفسر هذا الغموض ولا يبعد ان العلم في المستقبل يكشف اسرار الدماغ ويسيطر على المظاهر العقلية كسيطرتهِ على بعض المظاهر الطبيعية المحسوسة . وكما ان الخرافة والوهم آخذان بالاضمحلال من العلم الطبي هكذا لا يمضي الوقت الطويل حتى يتبين السرّ المحيط بهذه المظاهر وتفهم حركاتها وسكناتها

واهم المشتغلين بالابحاث البسيكولوجية العملية العالم الدكتور جنغ الالماني فقد تناولت ابحاثهُ في الدرجة الاولى الامراض العصبية وفي الدرجة الثانية بسيكولوجية ارتكاب الجرائم فابان ان الافعال العقلية غير خاضعة لارادة الانسان كما ان ناموس الجاذبية غير خاضع لهُ . فالمظهر العقلي ليس شيئاً يدخل الدماغ ويخرج منهُ كما يريد ويحب صاحب ذلك الدماغ

وطريقة جنغ في البحث عن هذه المظاهر بسيطة جدًّا — تقوم باعطاء الشخص الممتحن شفاهاً او كتابة عدة كلمات ويطلب منهُ ان يجاوب عنها واحدة واحدة بالكلمات الاولى التي تخطر في باله . وتدوَّن الكلمات مع اجوبتها ووقتها . فالكلمات التي تعطى لهُ ليجاوب عنها تدعى بالمنبهات والاجوبة عنها تدعى بالردود والوقت المستعمل من وقت اعطاء الكلمات الى وقت الاجابة عنها بالوقت المصروف . فاذا كانت الكلمة المنبهة كلة شارع مثلاً كان الردّ عليها ضيقاً والوقت المصروف بلاثة اخماس الثانية

وكثيراً ما يعطى الشخص الممتحَن مئة كلة البعض منها لهُ علاقة بحادثة يهتم بها فمن اجوبتهِ عنها ومن تصرفهِ العمومي وبالاكثر من الوقت المصروف (بين

المنبّه والجواب) يعرف الباحث بعض حقائق مهمة عنهُ . وقد لوحظ ان الوقت المصروف لردّ الاجوبة عن الكلمات العادية يتناول من ثانية الى ثلاث ولكن اذا كان بين الكلمات ما لهُ اهمية او علاقة بالشخص طال الوقت المصروف فاذا كانت اعصابهُ في حالة من التهيج والانفعال فقد يقرأ في الكلمات المعطاة لهُ معنى مخبأً فيتصور ان للمتحن قصداً خصوصياً في ذكر هذه الكلمات لهُ فيخاف ان اجوبتهُ تذيع لهُ سرًّا فتزداد حالتهُ تهيجاً وتلبكاً وكثيراً ما يصبح غير قادر على الجواب ويطول الوقت المصروف من ١٠ ثوان الى ١٥ ثانية

وحينما يكون الشخص المتحَن في صحتهِ ويكون لبعض الكلمات المعطاة لهُ معنى مقصود تظهر عليهِ امارات الانفعال والتلبك فيخاف . وقد يكون خوفهُ في محله لان اجوبتهُ تكشف ما يحب ان يستره . فاذا كان متهماً مثلاً بقتل احد سمًّا وان السم كان في زجاجة موضوعة في خزانة وسُكب على الارض فاهتم بمسحهِ بمنديل فالكلمات التي لها علاقة بالحادثة مثل سم وزجاجة وخزانة ومفتاح وفتح وسكب ولطخة ومسح ومنديل تجعلهُ يتردد في اجوبتهِ وكثيراً ما يتوقف عن الكلام لتهيجهِ وخوفهِ من ان اجوبتهُ تظهر ذنبه فيؤخذ بكلامهِ

وفي حادثة ثانية أُعطي شخص صندوقين وطُلب منهُ ان يفتح ايًّا اراد ويفحص محتوياتهِ جيداً . ثم أُحضر امام لجنة ففحصتهُ لترى اي صندوق فتح وكان في الصندوق الاول فارة بيضاء وفي الثاني اوراق لعب . ثم اعطيت لهُ قائمتان احتملت الاولى على كلمات لها علاقة بمحتويات الصندوق الاول كحركة وصغير وابيض وذنب وفارة . والثانية احتوت على كلمات لها علاقة بمحتملات الصندوق الثاني ولم يكن يعرف عنها شيئاً . والكلمات هي ورق لعب سبعة رجل ملك نقطة . فتناولت اجوبتهُ للكلمات في القائمة الاولى وقتاً أطول بكثير من الوقت الذي تناولتهُ اجوبتهُ للكلمات التي في القائمة الثانية مما يظهر ان الشخص فتح الصندوق الاول

وفي حادثة ثالثة أُجري امتحان بين شخصين ليرى ايهما عمل اعمالاً مختلفة طبقاً لتعليمات معينة . والتعليمات كانت هكذا اذهب الى الدكان وضع مطرقة في الدرج والخمس بتدقيق الادوات التي فيهِ لتجيب عن الاسئلة الآتية كم مفتاح في حلقة المفاتيح . ما الاسم الذي على ظهر زجاجة الحبر . هل الزجاجة فارغة . هل الساعة كانت واقفة . ما العدد الذي على ظهرها . كم شفرة للسكين . ما لون القبضة .

اتقدر ان تسحب مسامير صغيرة بالمطرقة . وامتُحن الاثنان بقائمة فيها مئة كلمة بينها ثمان وثلاثون كلمة ذات علاقة بالاسئلة المتقدمة . فاجاب المذنب عن الكلمات ذات العلاقة بالاسئلة في وقت اطول بكثير من الوقت الذي اقتضتهُ الكلمات التي لا علاقة لها به . واما البريء فاجاب عن الكلمات التي لها علاقة في وقت يكاد يقارب الوقت الذي اجاب بهِ عن الكلمات التي لا علاقة لها مما يظهر انهُ لم يرتكب جناية

وفي حادثة رابعة احضر ظرفان مختومان وضع في كليهما اشياء مختلفة مع بعض تعليمات مكتوبة لها علاقة بالامتحان واستعمال الادوات التي فيهما . فانتُخب شخص بالقرعة وطُلب منهُ ان يفتح احد الظرفين ويقرأ التعليمات التي فيهِ بدون ان يمس الظرف الثاني او يعرف شيئاً مما فيهِ . فبعد فحص محتويات احد الظرفين وتتبع التعليمات الضرورية اعطي قائمة فيها مائة كلمة وطُلب منهُ ان يجيب عن كل كلمة منها شفاهاً باول كلمة تخطر في ذهنهِ . وان يذكر كلمة في اجوبتهِ تظهر اي ظرف فتح . وكان بين الكلمات التي اعطيت لهُ خمس وعشرون كلمة لها علاقة بمحتملات الظرف الاول و٢٥ لها علاقة بمحتملات الظرف الثاني والخمسون الباقية لم يكن لها ادنى علاقة بمحتويات الظرفين بتاتاً . فاجابتهُ عن الكلمات ذات العلاقة بالظرف المفتوح اقتضت وقتاً اطول من وقت اجابتهِ عن الكلمات التي لها علاقة بالظرف الذي لم يفتحهُ اما الكلمات التي ليس لها علاقة بالظرفين فقد كان الوقت المصروف في الاجابة عنها قصيراً جداً

وقد امتُحنت امتحانات كثيرة غير ما تقدم في اشخاص كثيرين ممن درسوا هذه الطريقة جيداً وعرفوا الكلمات ذات العلاقة قبل الامتحان واستعدوا للاجابة عنها فكان الوقت المصروف على الكلمات ذات العلاقة اطول بكثير من الوقت المصروف على الكلمات التي لا علاقة لها

يؤخذ مما تقدم ان الانسان ابتدأ يستفيد من المظاهر العقلية في اعماله وانهُ يصعب عليهِ جداً التحكم بهذه المظاهر والتصرف فيها كما تسهل عليهِ ادارة المظاهر الطبيعية المحسوسة . نعم قد يستطيع ان يسيطر على بعض الافكار والاشتراكات العقلية لكن ذلك قد يتطلب اياماً وشهوراً وسنين وكثيراً ما نظن اننا فزنا عليها فتظهر امامنا فجأة كظهور كثير المزالق متعدد العقبات

بيروت . الجامعة الاميركية نجيب ملحم نصار